الصـــور الشعرية الحسية اللمسية والذوقية والثابتة والمتحركة في الشـــــعر الأندلســـــي

د. محمد خليفة محمد الكو ـ كلية التربية يفرن ـ جامعة الزنتان .

المقدمـــــــــة:

الحمد لله رب العالمين الذي هدانا لحب البحث والاطــلاع وأسأله - سبحانه وتعالى-أن يودع قلوبنا العلم والمعرفة وأن يرشدنا إلى سبيل الحكمة والموعظة الحسنة ويهدينا إلى خير السبيل.

قام خبراء الأدب بتقسيم الأدب الأندلسي إلى قسمين أو فترتين أحداهما - فترة تم تسميتها بفترة المد والتي بدأت بالفتح الإسلامي واستمرت حتى عصر ملوك الطوائف وهذا العصر الذي عرف بالحكام ذوي الأصول الأندلسية والأخرى سميت بفترة الجزر وهي الفترة التي اعتلى عروش الحكم فيها ممن ليسوا من أصول أندلسية والأغلب كانوا من شمال أفريقيا أو شبه الجزيرة العربيــة جاءوا مهاجرين أو فاتحين أو عبر تجارة أو سفر واستقروا فيها، وكانت الفترة الثانية أقــوى أدبياً من الأولى وكذلك شعرياً نتيجة تأثرهم بالطبيعة والعمار وكل أحوال البلاد التي تعد متطورة جداً مقارنة ببلدانهم وبيئتهم السابقة مما جعل قريحة الشـــعراء تنبع بالكثير من الابداع والابتكار بكل ما ينطوي عليه من أشياء وجزئياً وظواهــر وحركة وكل ما يوجد فيها هو المصدر الأساسي لمكونات الصورة الشعرية غير أن الشاعـر لا ينقلها لنا إلا بعد أن يمتزج معها عاطفةً وانفعالاً داخلياً، ليقتنص الصورة من منبعها، ثم يأتي دور وظيفة الصورة فتقوم بتوصيل المعنى الشعري على أحسن وجه للملتقي ، وقد اشتهرت الألفاظ في هذا النوع من الشعر بالوضوح والسهولة ورقة الأسلوب المستخدم، كما اهتم الشعراء في البلاد الأندلسية كعادتهم بالصنعة اللفظية والتميز في اختيار المفردات والجمل وانتقاء الكلمات لملائمة الذوق والرقي للسامع والقارئ المتلقي، فالصورة الشعرية كانت قد شدت انتباه جل الشعراء في الأندلس واستولت عن عقولهم وسيطرت على ألبابهم عندما أخدوها من وصف الطبيعة الثابتة والمتحركة معاً من تصوير القصور وزخارفها والأنهار وجريانها وحركة الطيور والأشجار والأعشاب والزهور تأثرا بنسائم الهواء العليل مع احتفاظهم بآثار الشــرق ونظم الشعر على نفس ذاك المنوال المعروف عند المشرقيين ؛ وذلك للمكانة التي كانت في

قلوبهم للشرق ولشعره وشعراءه من مكانه وتقدير كبير، مع اضافة بعض التجديد والتكوين والوصف الدقيق غير المطروق سابقاً تأثرا بالطبيعة الجديدة التي لم تكن متوفرة في بيئة الصحراء التي كانوا يقطنونها وسكن البدو البدائي في أرض المشرق منبع الحضارات ومكان نزول الوحي وسنتحدث لاحقاً بمدى ابداع الاندلسيين وعكس الصور التي تحتويها الأندلس إلى شعر مصور بنسق عالي وجميل يشد السامع والقاري.

مفهوم التصوير الشـــــعري:

التصوير الشعري هو التعبير الحي عن الأحداث التي تدور في محيط الشاعر وتتطلب براعة وحسن تحوير وتصوير في قالب شعري يعطينا صورة جميلة نتخيل من خلالها تفاصيل ما أراد الشاعر أن يضعه أمامنا أو يرسمه لنا ويصوره بإتقان؛ لأن الشعر نتاج " ذهني لا يقدم المعنى العام للتجارب العاطفية ؛ وإنما يقدم التجارب العاطفية نفسها في كلمات تمثل الحواس جميعها البصر والذوق والسمع واللمس والشم".[1]

وهنا لا يعني أن الصـــور المعتمدة على الحواس في رسم أبعادها وأنواعها صور بسيطة، فالدقة في حسن اختيار مكوّنات الصور ووصف مواطن الجمال دليل على قوة وصدق الشعور ؛ لأن الصورة ترتبط بشكل عام بالمدركات الحسية الصادق التي تصدر من الذات ومن تلك التجارب التي مرت بحياة الشاعر الواقعية إلا أنها امتزجت وتبلورت بخيال واسع وإدراك أوسع واخراج متكامل حتى يتخيل السامع في عقله تلك القصيدة التي تصور جمال الطبيعة وصوت العصافير وخرير الماء وكأنها لوحه فنية رسمت أمام ناظريه.

مصادر الصورة الشعرية:

تُعد مصادر الصور الشعرية عاملاً مهماً في بناء القصائد وتشكل صُورها عند الشعراء أهمية كبيرة لأهميتها في مباحث علم الجمال في الكون والطبيعة والإنسان لما يسهم به في صناعة جمالية الأدب وحسن الشعر وابداع التصور الفني واظهاره بالشكل المطلوب ليكون محط اعجاب وخيال لافت للقارئ والسامع ، ومن أهـــم مصادر الصور: الطبيعة ، الواقع ، المرأة، الوطن، الرمز، الأسطورة، الخيال، الدين ، وكل هذه المصادر الأصيلة للتصوير تعتمد" على عنصر التشبيه بالذات اعتماد كبير

وقد أكثر الشعراء منه فنراهم يستخدمون التشبيهات المفردة والمركبة فيشبهون المحسوس بالمعقول كقول ابن عبد ربه مثلاً:

كأن حمام الأيك حين تجاوبت حزين بكى من رحمة لحزين

فهو يشبه حمام الأيك بالحزين الباكي هو تشبيه محسوس بمعقول يقوم بينهما جامع عقلي وهو الحزن" (2) ، وهنا كان التصوير مباشر ، وأعطـــى الشاعر لنا صورة شعرية رسم فيها طير الحمام وهو يبكي من تأثره بحال الشاعر وما فعلت به الأحوال من فعائلها وكان الشعراء الأندلسيون - أيضاً – " يشبهون المعقول بالمحسوس كما في قول مؤمن بن سعيد:

تتلألأ إذا سئلت نـــوالا كتلالي مهثي معقول

فقد شبه الجود بتلالي المتهيئ وهو تشبيه معقول بمحسوس ، فقد استخدموا التصوير بالتشبيه استخداماً متقناً فكان ركناً اساسياً في بناء صورهم الشعرية واخراج ما لا تقع عليه الحواس إلى ما تقع عليها حواس السامع في صورة قريبة من بيئته الاندلسية، أو اخراج ما لم يكن مألوفاً أو معقولاً إلى حيز المألوف العقلي.

وفي الوقت نفسه فقد استخدمه الشعراء في التنفيس عن ذواتهم والتعبير عن استجابة النفس لرغبتها بجمال الطبيعة ومظاهرها، فكشفت صورهم التشبيهية عن كثير من نوازع النفس الإنسانية ومدى استجابتها وانفعالها بما تقع تحت تأثيره(3)

وصف الطبيعة في الشعر الأندلســـــي:

طالما كانت الطبيعة هي المصدر الأساسي لكل ذي عقل في جمع المواقف والصور والوصف لكل ما تحويه الطبيعة واقترانه بعديد الفنون الأدبية والعلمية العامة لتنوع الصور فيها وتعدد الاشكال واختلاف المحتوى بجزئياته الكبيرة والصغيرة بجانب البيئة الاندلسية التي توفر فيها التنوع الحضاري والجمالي مما جعل هذا العصر يتميز عن غيره بجمال صوره وتشبيهاته ووصفه وجاءت أكثر تشبيهاتهم " للخمرة إذ شبهوها بالسراب والدمع والنجم واللجين والشمس والمذهبة...الخ (4) ، ويأتي تصوير المحبوبة أو المعشوقة بالدرجة الثانية وصوروها بعديد الصور

والمفردات المنتقاة من الطبيعة كالقمر والبدر والغصن والورد والفواكه والعسل وغيرها كثير ويطالعنا الشاعر إسماعيل ابن إسحاق المنادي بقصيدته التي يصور لنا فيها موسم الربيع بالأندلس قائلاً:

وحاكت له الأنداء وشياً منمناً ... كأن نظمه من فاخر التبر والدر
تخال به نور الربيع كواعباً ... عليها أكاليل البواقيت فالشذر
إذا ما نسيم الريح هبت بصحنه ... فعلن كما مال النزيف من السكر
يعانق بعض بعضهن تأودا ... تعانق معشوقين كانا على هجر
يسقين دمعاً من عيون كأنها ... عيون مها يرعدون شدة الذعر(5)

يصور لنا صاحب الأبيات صورة الربيع وما فيه من محاسن وصور زاهية وجميلة مصوراً لنا النظم الفاخر وروعة الاشعاع وحسنه ونسمات الهواء العليل ونثرات الندى اثناء الصباح الباكر، وهنا استطاع الشاعر أن يصور لنا هذه الصور الوصفية للربيع وجماله مما يوضح لنا سعة الخيال لديه وتميزه بحسه اللغوي ودقة نظمه وجودة تصويره وإخراج صورته على اكمل وجه، وساعده في ذلك البيئة الاندلسية كمصدر هام ومساعد لخلق الصور الشعرية التي كانت غائبة في البيئات الأخرى، وساهمت في تعزيز مخيلة الشعراء بالصور وتنوعها وأشكالها المتعددة والتي اضفت على خروج تلك الصور بجمالية أشمل وأجمل.
ومن الصور الطبيعة نقرأ للشاعر أحمد بن عبد ربه تصويره مظهر حضاري تجديدي بتصوير قصر الخلافة ومفاتن جماله وروعة محيطه وحديقته وحسن تصاميمه يقول:

هــي الزهرة البيضاء ألبست ... لها الزهرة الحمراء في الجو مقفرا
يود وداد كل عضو و مفصل ... ليبصرها لو انه كان أبصرا
بناء إذا ما الليل حل قناعه ... بدا الصبح من أعرافه الشم فسفرا
تعالى علواً فات عن كل واصف ... إذا أكثروا من وصفه كان أكثرا
ترى المنية البيضاء من كل شارق ... تلبس وجه الشمس ثوباً معصفرا
إذا سدلت سترا على كل كوكب ... كبا نوره من نورها فتسترا
توشحن من هذا اليماني مثلما ... تأزرن من ذاك الملاء المزعفرا
بموشيه يهدى اليك نسيمها ... على مفرق الأرواح مسكاً وعنبراً

سدواتها من ناصع اللون أبيض ولحمتها من فاقع اللون أصــفرا(6)

يعد هذا التصوير والوصف الدقيق من أجمل وأول القصائد التي تصور الحضارة في بلاد الاندلس وتوضح مدى تأثير الطبيعة والحضارة على شعراء وتفننهم في الخوض فيها وإخراج ما يشاهدونه في صور دقيقة الوصف في قصائد وصفية تصويرية تميز بها هذا العصر عن غيره من العصور الأخرى.

أنماط الصـــور الشعرية الحسية :

الصورة الحسية تُعتبر من أرقـــى الطرق الأدبية الحديثة والمعاصرة والجديدة للخوض في النص الشعري ومعرفة عباراته ودلالاته وتراكيبه وجزئياته المتنوعة وتنقلاته الوصفية ونسبتها إلى عدة أحاسيس تعبر عن مدى فاعليتها وطرق عرضها باعتبارها هي من تعطى للنص وجماله وتلونه وتقرب معانيه وتجسدها وتوضح لنا حياة الشاعر وتجاربه وأحاسيسه وقوة عواطفه وحرفيته في تقريب المعاني وتوظيفها وتجسيدها بشكل فني يقنع السامع والقاري معاً وللارتباط الوثيق بين الشعر والبيئة الاندلسية بالمحسوس فقد كان للتصوير الحسي حيزاً ملحوظاً في هذا العصر وأرتكز هذا التميز أو هذه الخصوصية في كيفية تصوير ما يحيط بالشاعر من ظروف وبيئة محيطة وأحوال معاشه حسب التجربة الشعرية التي استقى الشاعر من ظروفها ومحيطها مفرداته وصوره التي عرضها في نسق شعري متسلسل ربط فيها بين الصورة والحواس والمكان ووظف الحواس لتكون واجهة لعرض تلك الصورة الشعرية كانت ذوقية أم شميه أم لمسية ام تابته ام متحركة لما تشكله الحواس من أهمية كبيرة في حياة الفرد ؛ بل لا نبالغ إن قلنا أن الحياة تعتمد على الحواس وإن فُقدت انعدمت الحياة ومن هنا جاء الاهتمام بالصور الحسية بكونها عند بعض الأدباء هي حياة القصيدة ومحركها الروحي إن انعدمت فيها فقدت روحها وقوتها وصدق معانيها و" الشاعـر المبدع يعتمد في تكوين صورته على خطوط وألوان وحركه وظلال تحمل في طباعها فكرة وعاطفة ولكنها توحي بأكثر من المعنى الظاهر وأكثر من انعكاس الواقع الخارجي إذ الصورة من يد صانع يعرف كيف يضم الخط إلى الخط واللون إلى اللون والضوء إلى الضوء والظل إلى الظل فلا تحس نشازاً بل تحس استواء أو ائتلافاً وظيفة الخيال هي الصورة أن يحيل الظواهر الخارجية عن طبيعتها

فتتحول الصور إلى صور نفسية تتخطى عالم العقل إلى عالم الحدس والكشف والإشـــراق(7)

وتتبلور تلك المشاهدات للعينين والأحاسيس العاطفية ويعبر بها الشاعر عما يجول في خاطره في شكل صورة صوتية أو لونية أو حركية وتأتي أغلب " الصور مستمدة من الحواس إلى جانب مالا يمكن اغفاله من الصور النفسية والعقلية، وإن أتت قليلة بالنسبة للصور الحسية ويدخل في تكوين الصورة بهذا الفهم ما يعرف بالصور البلاغية من تشبيه ومجاز إلى جانب التقابل والظلال والألوان وهذا التشكيل يستغرق اللحظة الشعرية والمشهد الخارجي" (8) لإخراج صورة شعرية متكاملة صدرت عن حواس وخواطر وتشكلت من مشهد أو موقف معين وسننتقل لاحقاً لدراسة هذه الصور بنوع من الدقة و التركيز على تنوعها واختلافها من لمسية وذوقية لبصرية لشمية إلى الصامتة والمتحركة مع سرد ادلة وأمثله على ذلك وهذا هو مضمون البحث.

الصورة اللمســـــــية:

تمثل " الصور الحسية بأقسامها المختلفة من صور سمعية ولمسية وبصرية وذوقية وشمية منطلقاً للتعبير الحي عن الأحداث التي تتطلب قوة وبراعة عالية في التصوير من خلال الوصايا إذ كان الأثر الفاعل في تشكيل رؤى الموصين وأدواتهم المميزة في بلوغ الغاية والهدف الذي يريده الموصي من خلال وصيته، ويمكن تعريف الصور الحسية بأنها تلك الصور التي ندركها عن طريق الحواس فتنبهر عيوننا بالألوان، وأنوفنا بالعطور، وأصابعنا بالنعومة وأسماعنا بحلو الكلام والسنتنا بالمذاق العذب" (9) ، ومن الصور اللمسية نذكر صورة ابن عياد يقول:

كأنما يا سمينا العض كواكب في السماء تبيض
والطرق الحمر في جوانبه كخد حسناء مسه العض (10)

جلب الشاعر لنا في أبياته أجــزاء من الطبيعة ثم جلب الجزء الآخر من بعض حواس الإنسان وبعض ردات فعله أو انفعالاته، فكان مصوراً لنا زهــر الياسمين العض وأنتقل إلى بياض كواكب السماء حتى وصل إلى خد الحسناء ولمسه عن طريق العض بالأسنان من كثرة العشق أو أعلى درجات الود والشوق وعبر باللمس

أو اللمس كاستحضار للنمط الحسي في شعره لإيصال احساسه ومشاعره بأكثر طريقة معبرة تصل للسامع والقاري في حال القياس عليها والاقناع بها وايصال رسالته ومن الصور اللمسية يطالعنا ابن زيدون بهذه القصيدة والتي يقول فيها:

فرشفت الرصاب أعذب رشف وهجرت القضيب ألطف هصر
ونعمنا بلف جسم بجسم للتصافي و فرع ثغر ثبغر
يا لها ليلة تجلى رجاها منسنا وجنتيه عن ضوء فجر
قصر الوصل عمرها ويودي أن يطول القصير منها بعمري(11)

الصورة السمعية:

وهي التي تتكون من مجموعة أصوات ويتم تشكيلها من محيط الطبيعة والأحوال العامة بجميع نغماتها سواء جامدة ام بشرية ام حيوانية والتي تصور عالية ام خافتة مريحة ام مزعجة جميلة ام نشاز كما نجد في قول ابن زيدون:

أبابكر أسلم على الحادثات ولا زلت من ريبها في حرم
أناديك عن ثقة عهدها كما وشت الروض أيدي الرهم(12)

في هذه الصورة السمعية ينادي الشاعر أحد الأمراء لعله يسمع ويعلمه بأنه يثق فيه وفي عرفانه كما تعرف الطبيعة بزخرفتها وتوشيها بالأزهار والسحاب وتشاكيل الألوان الخلابة، وقول ابن عبد ربه يصور معركة :

ومعترك ضنك تعاطت كماته كؤوس من كلى و مفاصل
وتسمعهم أم المنية وسطها غناء صليل البيض تحت المناصل (13)

يصور الشاعر هول المعركة وقوة القتال فيها ويأتي بمفردات سمعيه يصور أن الموت تسمعهم وصور أصوات السيوف وصليلها بالغناء ، وهذه كلها مدلولات سمعية صوتية يبدع الشاعر في توصيفها بالقصيدة بكل تميز ويدعو عبد الله بن محمد بن صارة الشنتريتي إلى التوبة في الشيخوخة لأن الدهر فانٍ لا محالة فيقول:

يا من يصيح إلى داعي السفاه وقد نادى به الناعيان الشيب والكبر
إن كنت لا تسمع الذكرى فقيم نوى في رأسك الواعيان السمع والبصر

ليس الأصم ولا الأعمى سوى رجل لم يهده الهاديان العين والأثر(14)

الصـــــــورة البصريـــــــــــة:

الصـــور البصرية وهي تلك التي يكون فيها البصـــر بداية تبلور فكرة وصورة الشاعر وتدرك بحاسة البصر والرؤية للأشـــياء ومن ثم توصيفها لرسالة معنية لصاحبها، فحاسة البصر إحـدى الحواس المهمة للشاعر لوصف الموجودات من حوله بكل تفاصيلها وأبعادها من طبيعة أو حرب أو وصف حضارة أو صحراء أو أنهار أو أشياء عديدة بشرية أو غير بشرية، ومن هذا نقرأ للشاعر ابن سهل الأندلسي :

يدين فيه بصري يدين عياد الصلي إذ ثلثت بالقمر والحقف والغض الرطيب (15)

هذه الصورة الشعرية البصرية تبين تأثر الشاعر بالبيئة المسيحية التي استقر فيها وجاء بشطر جميل ينسب فيه الدين للبصر والتثليث للقمر ولم ينسب، الدين لقلبه وإلا كان في موضع شبهه في الدين وتخلص بسهولة من هذا ونسب الدين لما شاهد فقط وليس ما آمن به، ومن الصور البصرية ما جاءت به قريحة الشاعر أمية بن أبى الصلت الأندلسي وهو يصور بركة ماء فيقول :

أما ترى البركة الغناء قد كسيت وشياً من النور حاكته يد السحب
وأصبحت من جديد النبت في حلل قد أبرز القطر منها كل محتجب
وأنظر إلى الورد يحكي خد محتشم من نرجس ظل يبدى لحط مرتقب(16)

يصوّر لنا الشاعـــر بِرْكة ماء محاطة بالأزهار والأشجار وكشفت جمالاً وألواناً ويخاطب بقوله : أما ترى موجها خطابه لبصر السامع ليرى هذا المنظر الجميل ، ويزيد جماله سقوط الأمطار على أنواع الورود والنرجس واللذين كأنهما خجولان من جمال الرقة والعذوبة التي طغت عليها.، وهنا ابن الآبار يحدثنا عن مغامراته الغرامية فيقول:

خاف العيون فوافاني على عجل معطلاً جيده إلا من الجيد
حتى إذا غازلت أجفانه سنة وصيرته يد الصهباء طوع يدي

أردت توسيده خدي وقلت له فقال كفك عندي أفضل الوسد (17)

يحدثنا الشاعـــر أن العيون لها أثر عكسي عندما تنال ممن يحاول إخفاء شيء أو عمل غير فعلي وأشار هنا إلى افتتاح صورته البصرية عندما حاول هو ومعجبته خداع العيون حتى لا يفضح أمرهما ومن ثم فعلوا ما يحلوا لهم ولكن ليس تحت أبصار غيرهم.

ومن الصور البصرية التي تورد حاسة البصر هذه الأبيات لابن السراج المالقي شاعر بن حمود يتعشق جارية تدعى حسن الورد، وجارية أخرى تدعى(أزهـــر) وله فيها عدة مقطعات أوردها ابن بسام في الدخـــيرة وكان ابن حداد قد شغف في صباه بصبية نصرانية ذهبت يلبه كل مذهب وركب إليها أصعب مركب وكان يسميها في شعره " نويرة" وأسمها الحقيقي (جميلة) ، وقد تضمنت أشعاره فيها الإشارات الكثيرة إلى الطقوس والشعائر المسيحية كما فيها ألغاز كثيرة بإسمها ومن شعره فيها:

ورأت جفوني من نويرة كاسمها ناراً تضل و كل نار تر
والماء أنت وما يصبح لقابض والنار أنتِ وفي الحشا تتوقد (18)

في هذه الصورة دليل بصري واضح يجعل الصورة بصرية بأن الشاعر يصور ما رأى من نويرة ناراً كاسمها ، وشبّه النار باسم محبوبته وصور لنا في شعره أنه رأى ناراً كبيرة عندما رأى بجفونه من محبوبته ما رأى تعبيراً عن الحرقة التي يحاول ايصالها والتي احس بيها في داخله.

الصـــــــورة الذوقيـــــــة:

بما أن حاسة الذوق حاسة هامة وتكاد تكون أهم من الحواس الأخرى لأنها تدرك مواطن الجمال وتؤثر كثيراً على متلقيها في رسم الصورة الحسية لتجسيد المعنى ونقله إلى المتلقي وقد أستمد العديد من الشعراء قصائدهم وصورهم الذوقية من الماء بوصفه الزلال والبارد ومزجوه مع وصفهم للظمآن للعشق والنساء ونوبات الهوى التي عاشوها، وكذلك وصفوا وصوروا مذاق ريق المحبوبة بطعم العسل وفراق الأحبة بطعم الحنظل ومرارته والكثير لاعتماد هذه الصورة على ما يتذوقه الإنسان

من مأكل ومشرب جاعلاً من التذوق مصدراً وأساساً تبنى عليه الصورة الشعرية الذوقية.
يطالعنا الشاعر أبو إسحاق الإلبيري بأبيات عن العلم قائلاً:

فلو قد ذقت من حلواه طعماً لأثرت التعلم واجتهدنا
ولم يشغلك عنه هوى مطاعٌ ولا دنيا بزخرفيها فتنتا
ولا ألهاك عنه أنيق روضٍ ولا خدر بمرمريه كلفتا
فتوت الروح أرواح المعاني وليس بأن طعمت وان شربتا[19]

وهنا الشاعر يصوّر لنا العلم ويجعله بمكانه الأكل المفيد لإشباع الروح وليس الجسد فقط كما هو متعارف عليه وجاء بالتذوق لصالح العلم توضيحاً لفائدة العلم لنداء الروح وأن من يتذوق طعم العلم وحلاوته لا يتركه ولا يبتعد عنه وحتى أن تركه فلابد أن يرجع اليه مرة أخرى . ونقرأ - أيضاً - لابن عبد ربه قوله :

من ذا يداوي القلب من داء الهوى إذ لا دواء للهوى موجود [20]

هذه الصورة الذوقية جاءت استعارية بحيث استعار الشاعر الدواء والذي هو معروف بخصوصيته للكائن الحي جميعه على الأرض إلى (الهوى والحب) ذاك الشي المعنوي وأن الهوى يتجرعــه المرء ويتذوق مرارته ولا يوجد له دواء فعلل الهوى دائم إلى الأبد وعذابه غير زائل وهو يفرق كثيراً عن علل الجسد والداء الجسدي الذي لا محالة من وجود علاج له في اغلب الحالات.

الصورة اللونيـــــة :

هي صورة تهتم بلونية الصور التي أبدع فيها الشاعر وفي إخضاعها لسياق الكلام ومضمون المقصد بمقصد أن الألوان هي المشاعر الحية التي تحدث تأثيراً في الفكر والمشاعر لينتج عنها تناغماً روحياً مع جمال ألوان الصورة التي أختارها لنا الشاعر وسردها بكل اتقان وحرفية وبلاغة أدبية وإحساس عالي وجاء دور اللون وورود عند أغلب الشعراء في هذا العصر ليس للتزيين فقط أو لفت الانتباه وتنميق الكلام بل لتأكيد الدلالة وتعددت وتنوعت الألوان الشعرية التي استعملها الشعراء لدعم قصائدهم إلا أن غلبة الاختيار والادماج كانت للون الأسود والأبيض وكادت تكون

الغالبة على بقية الألوان الأخرى والصورة اللونية هي جزء لا يتجزأ من الصورة البصرية لأن اللون مدرك حسي بصري يدل على أشياء مرئية معينة عرفت بالنظر لها.

ونقف هنا على قصيدة جميلة لابن سهل الاندلسي والذي تميز بهذا اللون الحسي من خلال قصائده العديدة والتي منها قوله:

محيا ضياء الشمس فيه ذبالة ... وكف يميم العاديات لها يسوى
بعض المحاسن يهوى بعضها طرباً ... تأملوا كيف هام الغنيج بالحور
در ثناياه وألفاظه ... فلقبوه الكوكب الذري
أجرى دمي في خده صبغة ... فأسود منه موضع الوزر
عاطيته شمسا لها في خده ... شفق أعار الورد حسن لباسه[21]

يصوّر الشاعر لنا الوجه كضياء الشمس بأسنة بضياء الذبالة ، أي : كضوء فتيلة السراج المضيء ويصف العيون بالحوراء كجمال العيون وكحلها وسوادها وبياضها النقي الجميل ثم يصور لنا الأسنان بالدر بياضها ونقائها ونصاعتها ثم ينتقل بنا إلى جمال حمرة الخد ودمه الغزير الكثيف الدال على النضارة والصغر والجمال وشبه هذه الحمرة بالشفق والذي هو معرف باللـــون الأحمر الناصع المختلط بالصُفْرة المشعة وامتزاجهما الجميل أثناء الغروب. فقد حشد الشاعر صور فنية كثيرة للطبيعة ومتنوعة وملونة فيها العديد من الألوان الصريحة والغير صريحة والمباشرة والغير مباشرة.

الصـــــورة الشـــمية

هذه الصـــورة تعتمد على حاسة الشم ويتضح جمالها باستجابة الانفعال للحسن الطبيعي بحيث تصبح أداة فاعلة تبين هذا الإحساس المرتبط بكل حواس الشاعر ومدى ارتياحه من عدمه من بداية الشم من الأنف حتى الحنجرة حتى الجهاز العصبي والذي يقوم بالتقرير بالحكم على أنواع المشموم مع الحواس الأخرى كروائح الطيب والعنبر والمسك والأريج والورود وغيرها كثير.

ونقرأ صـــورة شمية هنا لابن حمديس ، يقول فيها:

قام الدليل ويحي لا حياه له ... إن المنية لا تبقو لأتزر
أمسى دفينا ولم تدفن مغاضرة ... كالمسك يطوى ونشر منه ينتشر[22]

استطاع الشاعر هنا أن يعرض علينا صورة شمية عــززها بذكر المسك في رثائه مؤكدا لنا أن الموت لا ينفى أحد وأن هذا المتوفي لم يدفن معه مجده ومفاخره فلا زالت أعماله خالدة كالمسك يطوى ولكن رائحته منتشرة لا يحجبها شيء.

وينظم لنا ابن زيدون صورة شمية جميلة اخرى يقول فيها:

أصبوا إلى ورد الخدود إذا عدت جرد تبلغتي جناه لا وارد
وأراح للعطر السطوع أريجه إن شيب بالجسد المطير جساد (23)

يصوّر لنا الشاعــــر محبوبته بأنها فرسٌ جميلةٌ ناسباً صفات الخيل الأصيلة لها بذكر الفــرس الأجـــرد والذي هو قصير الشعر رقيقه وهي صفه مستحبة في الخيل . والوراد جمع ورد ، وهو لون بين الحمرة القانية والشقرة فاهتز لها من الشــوق وأسعى إلى صباها اليانع الشهي وأسعد وأطرب للعطر وريح الطيب وأشعر بالنشوة والارتياح إذا سطع عبير جسمك العطر في الملابس المصبوغة بالزعفران وإطلالة لونه الجميل للناظرين ورائحته الزكية الفوّاحة.

الخـــاتمة :

في خاتمة هذا البحث يتضــح جلياً أن التّصـوير الحســي ملكة شــعرية قوية تتطلب شاعر ماهر خبير ليصل بما صور إلى قلوب سامعيه والصور اللونية والشمية والبصرية والذوقية والسمعية هي شعر راقي قريب للقلوب فيه صنعه كبيرة وحس راقي جداً سواء كان مباشراً أم غير مباشر ويتطلب التحليل والدقة لمعرفته مما يزيد من جمالية التصور ودلالة على حرفية قائل هذه الأشعار ومن خلال ما ذكرنا يتضح لنا أن العصر الأندلسي لا يقل أهمية عن باقي العصور ، ويعد من أقوى العصور الأدبية وأكثرها تطوراً وتنوعاً لما فيه من طبيعة وأحوال هامة ساعدت على نجاح كل أنواع الشعر ومنها الحسي الذي تميز عند شعراء هذا العصر وهذه البيئة المتنوعة والتي تعد مصدراً مهماً لإلهام الشعراء والرواة على مر كل العصور القديمة والحديثة وتركت بصمة لا يمكن ان تمحى من تاريخ الشعر والشعراء.

الهوامـــــــــــــش :

1- بناء الصورة الفنية في البيان العربي: كامل حسن البصير، المجمع العلمي ، بغداد 1987 ص 125 – 126.
2- اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري – نافع محمود- دار الشؤون الثقافية – بغداد – 1995 – ط1 – ص 253.
3– المرجع السابق ص 253.
4– المرجع السابق ص 255.
5– المرجع السابق ص 254.
6– الأصول الفنية للشعر الأندلسي – عصر الإمارة :سعد أسماعيل شلبي – دار نهضة مصر-القاهرة -1983 - ص426.
7- الأدب العربي في الأندلس :علي محمد سلامة – الدار العربية للموسوعات- بيروت ط 1 -1989- ص 389.
8- المرجع السابق – 388.
9- فن الوصية في الأدب العربي القديم – دراسة موضوعية فنية – رسالة دكتوراه – محمد خليفة الكو – 2018- القاهرة –ص 194.
10– المرجع السابق ص 392.
11– ديوان ابن زيدون رسائله – تحقيق علي عبد العظيم – النهضة مصر – 1952 – ص 121.
12– ديوان ابن زيدون - علي عبد العظيم - مرجع سابق ص 415.
13- ديوان ابن عبد ربه – تحقيق محمد رضوان الداية – دار الرسالة - بيروت 1979 – ص105.
14- مدخل إلى الادب الاندلسي – يوسف الطويل – دار الفكر – لبنان – ط1 -1991 – ص 133.
15- ديوان ابن سهل – تقديم احسان عباس – دار صادر – بيروت 1967 – ص 325.
16- ديوان أمية بن أبى الصلب الاندلسي – تحقيق محمد الهوني – دار الأوزاعي – ط1 بيروت- 1991 – ص 88.
17- ديوان ابن الأبار البلي – تحقيق عبد السلام الهراس – دار الأوقاف – المغرب – ط1- 1999 ص 135.
18- تاريخ الأدب الاندلسي- عصر الطوائف والمرابطين – احسان عباس – دار الشروق – عمان الأردن – ط1- 2008 ص 129.
19- ديوان أبى إسحاق الألبيرى الأندلسي– تحقيق – محمد رضوان الداية – دار الفكر المعاصر – بيروت– ط1-1991 – ص26.
20- ديوان ابن عبد ربه – تحقيق محمد رضوان الداية –مرجع سابق ص 60.
21- ديوان ابن سهل الاندلسي –احسان عباس - مرجع سابق -ص47.
22- ديوان ابن حمدين – تحقيق احسان عباس – دار صادر – بيروت – 1986 - ص 187.
23- ديوان ابن زيدون ورسائله – تحقيق على عبد العظيم –مرجع سابق ص460.